



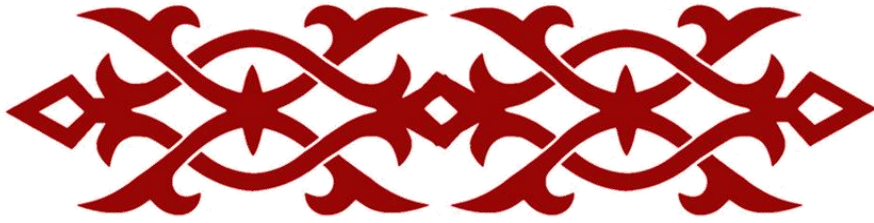
التأمل في أوصاف الدنيا

للشيخة أمّ عبد الله بنت الشيخ

مقرب بن هادي الوادعي

حفظها الله تعالى





روابط الشيخة عبر منصات التواصل

-  <https://alwadei967.blogspot.com>
-  <https://t.me/alwad3ya>
-  <https://t.me/alwadeia2>
-  <https://whatsapp.com/channel/0029VaaQ6kF9Bb5seBKp2B18>
-  <https://chat.whatsapp.com/JxvDfXpwWyHBLyRjEOPpS>



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد:

أخواتي في الله، فإن الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نتفكر، وأن نتأمل في أوصاف الدنيا؛ لنحذر منها، ولا نغتر بها، يقول ربنا عزَّ وجلَّ في كتابه الكريم: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخُمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٣١٦﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿البقرة: ٢١٩-٢٢٠﴾.

أي: تتفكرون في الدنيا وسرعة فنائها وزوالها، وكثرة مكدراتها، والآخرة وأنها دار نعيم وبقاء، فتستعدون لها، وتزهدون في الدنيا وتحذرونها.

وربنا سبحانه وتعالى يضرب في عدد من الآيات مثلاً للدنيا في سرعة فنائها وزوالها بقاء نزل من السماء على الأرض، فأنبئت، فأعجب الناس بمنظرها وحلاوة نباتها وبهجتها، ثم اصفرَّت بعد ذلك ويبست، فقبح منظرها، وسرع زوالها، فهكذا

حال الدنيا ووصفها، يقول ربنا سبحانه وتعالى: **(وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾)** [الكهف: ٤٥] **(فَأَصْبَحَ هَشِيمًا) أي:** يابسًا، **(تَذْرُوهُ الرِّيحُ)** تفرقه يمينًا وشمالًا، **(وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾)** الله على كل شيء قدير.

ويقول سبحانه: **(اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وِزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾)** [الحديد: ٢٠].

وفي ضمن هذه الآية أوصاف أخرى للدنيا: وأنها لعب ولهو، تلعب بها الأبدان، وتلهو بها النفوس، مشغلة مضیعة للأوقات من غير فائدة.

قال ابن القيم في «عدة الصابرين» (١٦٨): واللعب واللهو لا حقيقة لهما، وأنها مشغلة للنفس، مضیعة للوقت يقطع بها الجاهلون، فيذهب ضائعا في غير شيء.

ثم قال تعالى: **(﴿وَزِينَةٌ﴾)** تتزين للناس بزخارفها فتغرهم، تتزين للعيون، وتحلو بها النفوس، كما تتزين العروس لعروسها، وفي سورة يونس **(﴿وَأَزَيْنَتْ﴾)** [يونس: ٢٤].

ثم قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ التباهي بالأموال، بالأولاد، بالعمران، بالنعم، وهذا حرام مذموم.

﴿وَتَكَاتُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ [الحديد: ٢٠]، ويقول ربنا عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الْهَنَاطُ التَّكَاتُرُ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ②﴾ [التكاثر: ١-٢]، التكاثر مذموم، سواء التكاثر بالأموال، التكاثر بالأولاد، حتى التكاثر بالعلم، إذا طلب العلم؛ للتكاثر به وليس للانتفاع به، فإنه مذموم^(١).

ثم قال: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ في الآخرة إما عذاب ونار، أو نعيم وجنة، فليس في الآخرة إلا أحد هذين: إما عذاب ونار، أو نعيم وجنة.

(١) قال ابن القيم رحمه الله في «عدة الصابرين» (١٧١): التكاثر في كل شيء.

فكل من شغله وألهاه التكاثر بأمر من الأمور عن الله والدار الآخرة، فهو داخل في حكم هذه الآية: ﴿الْهَنَاطُ التَّكَاتُرُ﴾ [التكاثر: ١].

فمن الناس من يلهيه التكاثر بالمال.

ومنهم من يلهيه التكاثر بالجاه أو بالعلم فيجمعه تكاثرا وتفاهرا، وهذا أسوأ حالا عند الله ممن يكاثر بالمال والجاه، فإنه جعل أسباب الآخرة للدنيا، وصاحب المال والجاه يستعمل أسباب الدنيا لها وكاثرا بأسبابها.

﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (٢٠) ﴿ هذا من أوصاف الدنيا أنها متاع، غرور، وكما قال ربنا تعالى: ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ (٣٣) ﴿ [لقمان: ٣٣]، تغر بلمعانها وزخارفها، وزيتها وخضرتها وحلاوتها.

الغرور، بِالضَّمِّ: مَا اغْتَرَّ بِهِ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا. كما في «لسان العرب» (١٢/٥).

فهذا حال الدنيا أنها لعب وهو وغرور، ثم تتقطع القلوب المأ وحسرة على التفريط.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَنَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٢٤].

ثم قال سبحانه وتعالى بعد أن حذرنا من فتنة الدنيا ولعبها وهوها: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس: ٢٥]، يدعونا ربنا الذي هو أرحم بنا من أنفسنا، إلى دار السلام دار الأمن والأمان، دار الجنة التي أعدها الله سبحانه وتعالى لأوليائه ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس: ٢٥].

ويقول ربنا سبحانه وتعالى: **(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ وَيَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَمًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾** [الزمر: ٢١].

هذه الأدلة هي من ضرب الأمثال، ومن يتفجع بضرب الأمثال؟

إنهم أولو الألباب أصحاب العقول، أما الغافلون اللاهون فإنهم لا يتفجعون بذلك؛ ولهذا يقول ربنا عز وجل: **(وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾** [العنكبوت: ٤٣].

فعلينا أن نحذر من فتنة الدنيا، وأن نتأمل في أوصافها، فربنا عز وجل يذكر لنا أوصافها؛ لتتمعن فيها، ونعرف حقيقتها، **(وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴿٢٤﴾** [ص: ٢٤]، القليل من يعرف حقيقة الدنيا، لو عرفنا حقيقة الدنيا لأبغضناها وما ركنا إليها، لكنها الغفلة.

فدار الدنيا دار زوال، دار فناء؛ ولهذا في آيات عديدة يذكر الله سبحانه وتعالى بأنها متاع، **(قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾** [النساء: ٧٧]، **(أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾** [التوبة: ٣٨]، وقال تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ**

أَنْفُسِكُمْ مَّتَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾

[يونس: ٢٣]، وهذا من أوصاف الدنيا أنها متاع.

فنحن في دار رحيل ودار سفر، وكما يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى «الفوائد» (١٩٠): النَّاسُ مُنْذُ خَلِقُوا لَمْ يَزَالُوا مَسَافِرِينَ، وَكَيْسَ لَهُمْ حَطَّ عَنْ رِحَالِهِمْ إِلَّا فِي الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ. اهـ. أعادنا الله من النار.

فنحن في دار سفر، وليست دار إقامة واستيطان، حتى من كانت في وطنها هي في دار سفر، في دار رحيل، عبارة عن زائرة، أوجدنا الله عَزَّ وَجَلَّ على هذه الدنيا ابتلاء وامتحاناً، يبتلينا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ يَشْكُرُ، وَمَنْ يَكْفُرُ، مَنْ يَطِيعُ، مَنْ يَعِصِي، مَنْ يَخَافُ، وَمَنْ يَتَّقِي، وَمَنْ يَفْرُطُ، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٣٣)﴾ [لقمان: ٣٣].

هذه الدار دار الدنيا كما يقول الإمام النووي في وصفها في «مقدمة رياض الصالحين»: فَإِنَّهَا دَارٌ نَفَادٍ لَا مَحَلَّ لِإِخْلَادٍ، وَمَرْكَبٌ عُبُورٍ لَا مَنَزِلَ حُبُورٍ، وَمَشْرَعٌ انْفِصَامٍ لَا مَوْطِنَ دَوَامٍ؛ فَلِهَذَا كَانَ الْأَيْقَاطُ مِنْ أَهْلِهَا هُمُ الْعِبَادُ، وَأَعْقَلُ النَّاسِ فِيهَا هُمُ الزُّهَّادُ.

هذا موجز من كلام الإمام النووي في وصف وحال الدنيا، مأخوذ من أدلته، فالذين هم يقظون - وهم العبّاد - لم تغرهم، ولم تفتنهم، وأعقل الناس فيها هم الزهّاد؛ ولهذا على قدر عقل الإنسان يكون همته للأخرة، العقول تتفاوت، فبقدر عقله يكون اتجاهه وإقباله على الآخرة، ولم تغره هذه الحياة الدنيا، فإن الكثير قد غرتهم واستحلوها، ونسوا آخرتهم ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (٢٣) ﴿لقمان: ٣٣﴾.

ومن أوصاف الدنيا أنها كجيفة ميتة، بل أسوأ، كما في «صحيح مسلم» (٢٩٥٧) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ بالسوق والناس كنفية، فمرّ بجدي أسك ميّ، فتناوله، فأخذ بأذنيه، فقال: أيكم يحب أن هذا له بذرهم؟ فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: أأحبون أنه لكم؟ قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً فيه، لأنه أسك، فكيف وهو ميّ؟ فقال: والله، للدنيا أهون على الله من هذا عليكم.

﴿فمرّ بجدي﴾ الذكر من المعز، «أسك» أي: مقطوع الأذنين.

﴿فقال: أيكم يحب أن هذا له بذرهم؟﴾ حياة النبي صلى الله عليه وسلم مع

أصحابه موعظة وتذكير، تزهيد، تعليم، دعوة، تخويف، ترغيب، هذه حياة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وقوله: «لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ» أي: كما أنكم تحتقرون هذا، وتنفرون منه، فالله عزَّ وجلَّ الدنيا عنده أهون من هذا، فشُبهت الدنيا بأشد من جيفة ميتة، فهي لا تساوي جدياً أسك ميتاً. وهذا يدل على التزهيد في الدنيا، وأن من أوصافها أنها حقيرة عند الله سبحانه وتعالى.

ويقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مَطْعَمَ ابْنِ آدَمَ جُعِلَ مَثَلًا لِلدُّنْيَا، وَإِنْ قَزَحَهُ وَمَلَّحَهُ، فَانظُرْ إِلَىٰ مَاذَا يَصِيرُ» رواه عبدالله بن أحمد في «زوائد المسند» (١٣٦/٥) عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، وهو في «الصحيح المسند» (١) لوالدي رَحِمَهُ اللهُ.

وهذا أيضاً من ضرب الأمثال التي ينبغي أن نتأملها، فالطعام يكون في أوله لذيذاً شهياً منظرًا، ثم إلى أي شيء يصير؟ إلى تئن ومستقذر، فكذلك حال الدنيا، فلا يغتر بها إلا من كان أعمى البصيرة، فنعوذ بالله سبحانه من فتنة الدنيا.

وقد قال هارون بن الرشيد للواعظ ابن السماك: عطني - وهاورن بن الرشيد أمير من الأمراء -، قال له: رأيت لو مُنِعَ عنك الماء أتشتريه بنصف ملكك؟ قال: نعم، قال: رأيت إن حُبِسَ عنك البول مع حاجتك إلى إخراجه، أتعطي نصف ملكك؟ قال: نعم، قال: فما فرحك بشيء قيمته شربة وبولة (٢)؟

(٢) أخرجه بنحوه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٧٧٦)، والخطابي في «شأن الدعاء» (١٤٢).

هذا فيه أيضًا الزهد في الدنيا، وأنها حقيرة، ليست بشيء.

ومن رغبَ في الدنيا سُغِلَ عن الآخرة، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في «الفوائد» (٩٦): وعلى قدر رَغْبَةِ الْعَبْدِ فِي الدُّنْيَا وَرِضَاهُ بِهَا يَكُونُ تَثَاقلُهُ عَن طَاعَةِ اللهِ وَطلبِ الْآخِرَةِ. اهـ.

إذا رغب القلب في الدنيا تثقل عليه العبادة، يصرف عن طلب الآخرة، فينبغي أن يكون همنا الآخرة، قال ابن القيم في «الفوائد» (٨٥): إذا أصبح العبد وأمسى وكَيْسَ همهِ إِلَّا اللهُ وَحده، تحمل اللهُ سُبْحَانَهُ حَوَائِجَهُ كُلَّهَا، وَحَمَلَ عَنْهُ كُلَّ مَا أَهَمَّهُ، وَفَرَّغَ قلبه لمحبتِهِ، وَلِسَانَهُ لذكرِهِ، وجوارحه لطاعته.

وإن أصبح وأمسى وَالدُّنْيَا همهُ، حمله اللهُ همومها وغمومها وأنكادها، ووكله إلى نفسه، فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق، وَلِسَانَهُ عَن ذكرِهِ بذكرِهِم، وجوارحه عَن طَاعَتِهِ بِخدمَتِهِم وأشغالِهِم. اهـ.

فتفقدني نفسك، فإنَّ الطرق قد تشعب عليك، قد يكون صعوبة في الحياة؛ بسبب عدم إقبالك على الله.

وما أحسنها أختي في الله، أن تستيقظي من نومك، وليس هناك أفكار وتشويش، إنما همك الصلاة، ما في ذهنك أي شيء، ولا في فكري أي شيء سوى النهوض إلى

الصلاة، إلى ذكر الله، الاستغفار، وزدك من القرآن، إلى ما يرضي ربك، إن فعلت ذلك فأنت في خير، وفي طريق الجنة، الله يجعلنا وإياكم من أهل الجنة.
أما مَنْ أراد أن يحمل الدنيا فإنها تقتله وتهلكه.

من كان همه الدنيا فهذا تتشعب عليه الطرق، وتتباعده عنه الدنيا.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٤/٢٦٠): فَإِنَّ مِنْ طَبَعِهَا الْهَرَبَ مِمَّنْ طَلَبَهَا، وَالطَّلَبَ لِمَنْ هَرَبَ مِنْهَا. اهـ.

هذه الدنيا التي استرقت كثيرا من القلوب، كما قيل:

فكَم دَقَّتْ وَرَقَّتْ وَاسْتَرَقَّتْ... فَضُوءُ الرِّزْقِ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ

حتى إنهم بسببها ربما قاموا عن جيفة حمار، روى أبو داود في «سننه» (٢/رقم ٤٨٥٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلَسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللهَ فِيهِ، إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ!». .

إِنَّ طَرِيقَ الآخِرَةِ هِيَ الْبَاقِيَةُ، الْآخِرَةُ هِيَ الْبَاقِيَةُ (مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ) [النحل: ٩٦]، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: (إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾) [ص: ٥٤]، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ

مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ [فصلت: ٨]، أي: غير مقطوع، ويقول **سُبْحَانَهُ: ﴿*وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوزٍ ﴿١٨﴾** [هود: ١٠٨]، هذا رزق الآخرة دائم لا ينقطع **﴿لَا مَقْطُوعَةَ وَلَا مَمْنُوعَةَ﴾** [الواقعة: ٣٣].

فماذا نريد يا أخوات من هذه الحياة الدنيا؟!

انما هي - كما سمعت - مركب عبور نعب عليها إلى الآخرة، فالآخرة خير لنا، دار الآخرة خير لنا إن اتقينا الله، **﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾﴾** [الأعلى: ١٧]، **﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾** [يوسف: ١٠٩]، الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يبين لنا أن دار الآخرة خير لنا؛ لنحذر الدنيا، ونتأمل أوصافها التي ليس من ورائها منفعة.

ومن أوصاف الدنيا: أنها دار ابتلاءات، ودار مصائب ومحن، لذاتها مكدرة، يقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾** [الكهف: ٧]، ويقول **سُبْحَانَهُ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾** [البلد: ٤]، في آيات أخر يبين الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أنه أوجدنا ابتلاء واختبارًا وامتحانًا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- في وصف هذه الدنيا، ووصف الحال فيها- في « زاد المعاد » (١٧٤ / ٤): وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ فِي كُلِّ وَادٍ بَنُو سَعْدٍ، وَلْيَنْظُرْ يَمَنَةً فَهَلْ يَرَى إِلَّا مِحْنَةً؟ ثُمَّ لِيَعْطِفْ يَسْرَةً فَهَلْ يَرَى إِلَّا حَسْرَةً؟ وَأَنَّهُ لَوْ فَتَشَّ الْعَالَمَ لَمْ يَرَ فِيهِمْ إِلَّا مُبْتَلَى، إِمَّا بِفَوَاتٍ مَحْبُوبٍ، أَوْ حُصُولٍ مَكْرُوهٍ، وَأَنَّ سُرُورَ الدُّنْيَا أَحْلَامُ نَوْمٍ، أَوْ كَظَلِّ زَائِلٍ، إِنْ أَضْحَكَتْ قَلِيلًا أَبْكَتْ كَثِيرًا، وَإِنْ سَرَّتْ يَوْمًا سَاءَتْ دَهْرًا، وَإِنْ مَتَّعَتْ قَلِيلًا، مَنَعَتْ طَوِيلًا، وَمَا مَلَأَتْ دَارًا خَيْرَةً إِلَّا مَلَأَتْهَا عِبْرَةً، وَلَا سَرَّتْهُ يَوْمٍ سُرُورٍ إِلَّا خَبَّاتْ لَهُ يَوْمَ سُرُورٍ. اهـ. ومن كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في جبر الله سُبْحَانَهُ لقلب عبده المؤمن كما في « مختصر الصواعق المرسله » (٣٠٦): فَمَا كَسَرَ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ إِلَّا لِيَجْبُرَهُ، وَلَا مَنَعَهُ إِلَّا لِيُعْطِيَهُ، وَلَا ابْتَلَاهُ إِلَّا لِيُعَافِيَهُ، وَلَا أَمَاتَهُ إِلَّا لِيُحْيِيَهُ، وَلَا نَغَصَ عَلَيْهِ الدُّنْيَا إِلَّا لِيُرْغِبَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا ابْتَلَاهُ بِجَفَاءِ النَّاسِ إِلَّا لِيُرِدَّهُ إِلَيْهِ. اهـ.

يعني: هذه المتاعب والمحن كعلاج، وهذا من حكمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن جعل مُنْغَصَاتٍ في هذه الحياة الدنيا؛ لئلا نركن إليها، ونقبل على الآخرة.

إنه ينبغي أن نتخذ عبرة وعظة:

فإذا رأينا ما تستحليه النفوس من الثمار والفواكه، والألبسة الفاخرة، والزخارف
والنعيم والقصور، فإذا رأيناه ينبغي أن نتذكر أكمل نعيم، وهو نعيم الجنة، كما
قيل:

فإذا رآك المسلمون تيقنوا... حور الجنان لدى النعيم الخالد

وإذا رأينا نعيم الدنيا المحفوف بالآلام والمكاره أن نشمّر ونجتهد في الوصول الى
الجنة، فتتخذ من ذلك عبرة، فالنعيم يذكر بالنعيم، والنظير يذكر بنظيره.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقني وأخواتي الإقبال على الآخرة، وأن يعيدنا من فتنة الحيا
والممات.

والحمد لله رب العالمين.

وهنا استفسارٌ بعد الكلمة من إحدى الأخوات تقول: كيف نتعامل مع

الواقع والفتن التي نحن نعيشها؟

نعم نحن في زمن الفتن والانفتاحات، والملهيات والمغريات.

فلنحرص -أخواتي في الله- أن نخلع حب الدنيا من قلوبنا، وتعلق القلوب بها، فنخلع هذا من قلوبنا، هذا شيء مهم ألا يتعلق القلب بالدنيا، فإن ربنا عزَّ وَجَلَّ

يقول: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

أيضاً العلم النافع يجلب لك كل خير إذا تلوت كتاب الله، وأكثرت أيضاً من تلاوة كتاب الله سبحانه فمرجو أن يكون حصناً لك من فتنة الدنيا؛ لأن كتاب الله

مبارك، قال الله سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ

يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ» رواه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

فالعلم النافع -والله- علاج عظيم، علاج عظيم في رفع الجهل والأمراض، يجلب رزق القناعة، الترغيب في الآخرة، فالعلم يربيك تربية صحيحة.

أيضاً الدعاء بأن الله سبحانه وتعالى يعيدنا من فتنة المحيا والممات، وعندك الدعاء قبل السلام، كما روى مسلم (٥٨٨) عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ».

أيضاً الأخذ بالحذر، **(وَخُذُوا حِذْرَكُمْ)** [النساء: ١٠٢]، يعني: لا يكون غافلاً عن الدنيا؛ لأنها-والله-تسحب إلى أشياء كأنها ضرورية، وهي ليست من الأشياء الضرورية، فهي تسحب وتلمع الأشياء.

أيضاً مجالسة الخيِّرات الصالحات، فإن هذا-بإذن الله-يبعث في قلبك الزهد في الدنيا، ويجب إليك الآخرة، ومن هنا يكون الحذر من مجالسة المتنافسات في الدنيا.

تذكّر الموت والنظر إلى كثرة المكدرات، هذا يعين على الزهد في الدنيا، وما أحسن ما قيل:

لا طيبَ للعيشِ ما دامت منغصةً.. لذاته بادكار الموتِ والهَرَمِ

نحن لا نزهّد أخواتنا في القيام بمسؤولية البيت، وبالاهتمام بنظافته وحُسن ترتيبه، لكن من غير مضيعة للوقت، فنحن لا نزهد أخواتنا، فالإسلام يحث على النظافة ولكن من غير اغترار، ومن غير مضيعة للأوقات.

والحمد لله رب العالمين.



تم نشر هذه المحاضرة ولله الحمد والمنة.

يوم الخميس الموافق ٢٩ / من شهر ذي القعدة / عام ١٤٤٧ للهجرة النبوية

على صاحبها الصلاة والسلام.